مجنون ليلى

...لجبران خليل جبران

مجنون ليلى

*

مجنون ليلى — المدعو بقيس بن الملوح العامري — شاعر عربي رقيق عاش في صدر الدولة الاموية . وله قصة غرام مشهورة مع ليلى حبيبته ادت به الى التدله فاليأس فالجنون . فهام في البراري الابدة يرافق الوحوش ويناجيها وينظم الاشعار في حبيبته انائية .

الا ان قصته واشعاره قريبة من الخرافات — اي انها غير مثبتة تمام الاثبات . فقد روى بعض المؤرخين والنسابين انه لم يكن في بني عامر من يدعى بهذا الاسم وهم يستندون في ذلك على أنساب وابحاث وروايات شتى .

على انه سواء كان المجنون حقيقياً او خرافة فقد اجتمعت حول اسمه طائفة من الشعر العربي فتركت له اثراً ثابتاً لا يمحى يكفل بقاء اسمه المغشى بقناع الشك واضحاً ، ساطعاً كالقمر بازاء كواكب الجوزاء في سماء الشعر .

وقد آثرنا ان نثبت الى جانب الصورة الخيالية التي رسمها جبران خليل جبران أحدى قصائد المجنون الشهيرة التي سكب فيها روحه وعواطفه لتجمع بين أثرين — أثر الروح وأثر العين . وهي قصيدة طويلة تنسب بعض ابياتها لشعراء سواه ، ولكننا تحرينا جهدنا ان لا ننشر منها ما ذكر في دواوين سواه من معاصريه .

نجوى المجنون

****

تذكرت ليلى والسنين الخواليا ... وايام لا نخشى عَلَى اللهو ناهيا
و يوم كظل الرمح قصّرت طوله ... بليلى فالهاني وما كنت لاهيا
بثمدين لاحت نار ليلى وصحبتي ... بذات الغضى تزجي المطيّ النواجيا
فقال بصير القوم ـ « لمحة كوكب ... بدا ـ في سواد الليل فرداً يمانيا »
فقلت له ـ « بل نار ليلى توقدت ... بعليا تسامى ضوءها فبداليا »
فليت ركاب القوم لم تقطع الغضى ... وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
فياليلَ كم من حاجة لي مهمة ... اذا جئتكم بالليل لم ادرِ ما هيا
خليليّ الاّ تبكياني التمسْ ... خليلاً اذا انزفت دمعي بكاليا
فما اشرف الايقاع الا صبابةً ... ولا انشد الاشعار الا تداويا
وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما ... يظنان كل الظن الاّ تلاقيا
لحى الله اقواماً يقولون اننا ... وجدنا طوال الدهر للحب شافيا
وعهدي بليلى وهي ذات مؤصد ... ترد علينا بالعشيّ المواشيا
فشبّ بنو ليلى وشبّ بنو ابنها ... واعلاق ليلى في فؤادي كما هيا
اذا ما جلسنا مجلساً نستلذه ... تواشوا بنا حتى املّ مكانيا
ولم ينسني ليلى افتقار ولا غنى ... ولا توبة حتى احتضنت السواريا
خليليّ لا والله لا املك الذي ... قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلاً بشيء غير ليلى ابتلانيا
وخبرتماني ان تيماء منزل لليلى اذا ما الصيف القى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت فما للهوى يرمي بليلى المراميا
ولو ان واشٍ باليمامة داره وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وماذا لهم — لأحسن الله حفظهم — من الحظ في تصريم ليلى حبالنا
وقد كنت اعلو حب ليلى فلم يزل بي النقض والابرام حتى علانيا
فيارب سوِّ الحبَّ بيني وبينها يكون كفافاً لا عليَّ ولا ليا
فما طلع النجم الذي يهتدى به ولا الصبح الاَّ هيجا ذكرها ليا
ولا سميت عندي لها من سمية من الناس الاَّ بل دمعي ردائيا
ولا هبت الريح الجنوب لارضها من الليل الاَّ بتُّ للريح جانيا
فان تمنعوا ليلى وتحموا بلادها عليَّ فلن تحموا عليَّ القوافيا
فما زادني الناهون الاَّ صبابةً وما زادني الواشون الا تماديا
يقولون ليلى بالعراق مريضة فباليتني كنت الطبيب المداويا
فاشهد عند الله اني احبها فهذا لها عندي فما عندها ليا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا وبالشوق مني والغرام قضى ليا
اعدّ الليالي ليلة بعد ليلة وقد عشت دهراً لا اعدُّ الياليا
واخرج من بين البيوت لعلني احدّث عنك النفس بالليل خاليا
اراني اذا صليت يممت نحوها بوجهي وان كان المصلى ورائيا
وما بي اشراك ولكن حبها كعرد الشجا أعيى الطبيب المداويا
لقد طفت سبعاً قلت لما قضيتها الا ليت هذا لا عليَّ ولا ليا

يسائلني صحبي فما اعقل الذي ... يقولون من ذكر للبلى اعترانيا
أحبُّ من الاسماء ما وافق اسمها ... وشابهه أو كان منه مدانيا
خليليَّ، ما ارجو من العيش بعدما ... ارى حاجتي تشرى ولا تشترى ليا
واني لاستغني وما بي غفوة ... لعلَّ خيالاً منك يأتي خياليا
عي السحر، الا ان للسحر رقيةً، ... واني لا القى لنفسي راقيا
وتحرم ليلى ثم تزعم انني ... سلوتُ ولا يخفى عَلَى الناس ما بيا
فلم أرَ مثلينا خليلي صبابة ... اشد عَلَى رغم الاعادي تصافيا
خليلان لا نرجو اللقاء ولا ترى ... خليلين إلاَّ يرجوان تلاقيا
واني لاستحييك ان تعرض المنى ... بوصلك أو ان تعرضي في المنى ليا
واني لاخشى ان اموت فجاءة ... وفي النفس حاجات اليك كما هيا
واني لينسيني لقاؤك ـ كلما ... لقيتك يوماً ـ أن أبثك ما بيا
وقالوا: به داء عياء اصابه. ... وقد علمت نفسي مكان دوائيا
يقول اناسٌ: عليٌّ مجنون عامر ... بي اليأس، أو داء الهيام اصابني
اذا ما طواك الدهر، يا ام مالك، ... فاياك عني الا يكن بك ما بيا
تمر الليالي والشهور وتنقضي ... فشأن المنايا القاضيات وشانيا
خليليَّ، إن دارت عَلَى ام مالك ... وحبك ما يزداد الاَّ تماديا
ولا تتركاني، لا لخير معجلٍ، ... صروف الليالي فابغيالي ناعيا
خليليَّ، لا والله ما املك البكا ... ولا لبقاء تنظران بقائيا
خليلي، إن بانوا بليلى فهيئا ... اذا عاد من ارض لبلى بدا ليا
لي النعش والا كفان واستغفرا ليا

امضروبة ليلى علَيَّ ان ازورها ؟ ومتخذٌ ذنباً لها أن ترانيا
اقول لاذنى صاحبيَّ كليمة أسرّت من الاقصى أجب ذا المناديا
اذا سرت في الارض الفضاء رأيتني أصانع رجلي أن تميل حياليا
يمينا ، اذا كانت يمينا ، وان تكن شمالاً ينازعني الهوى عن شماليا
اذا نحن ادلجنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك هاديا
سقى الله اطلالاً بناحية الحمى وان كنّ قد أبدين للناس ما بيا
منازل ـ لو مرّت عليها جنازتي لقال الصدى، ياحامليَّ ، انزلا بيا
الا ، ايها الركب اليمانون ، عرجوا علينا ، فقد أمسى هوانا يمانيا
نسائلكم : هل سال نعمان بعدنا ؟ وحبَّ البنا بطن نعمان واديا ؟
الا يا حمامي بطن نعمان ، هيجتما علىَّ الهوى لما تغنيتما ليا
وابكيتماني وسط صحبي ولم اكن ابالي دموع العين لو كنت خاليا
ويا ايها القمريتان ، تجاوبا بلحنيكما ثم اسجما — عللانيا
فإن انتما استطربتما واردتما لحاقاً باطراف الغضى ، فاتبعانيا
لئن ظعن الاحباب ، يا أم مالك ، فما ظعن الحب الذي في فؤاديا
فيارب ، إذ صيرت ليلى هي المنى فزني بعينيها كما زنتها ليا
والاّ فبغضها الي واهلها ، فاني بليلى قد لقيت الدواهيا
علَيَّ مثل ليلى يقتل المرء نفسه وان كنت من ليلى علَى اليأس طاويا
اذا لم اجد عذراً لنفسي ولمتها حمات علَى الاقدار ما كان جاريا
أرى سقماً في الجسم اصبح ثاويا وحزناً طويلاً رائحاً ثم غاديا